

رغم دعوتنا وحرصنا على ضرورة بناء العلاقة مع عدد كبير من الناس بل وضرورة أن يكون أصحاب الفكر الرشيد والرأي السديد رموزاً اجتماعية، إلا أننا نقرر أن ذلك ليس هو الهدف والغاية، وإنما الهدف هو خدمة هذه الأمة والعمل على رفعتها والنهوض بها، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بهذه الضوابط:

إخلاص القصد والعمل:

فلا خير في عمل يخلص فيه الإنسان لنفسه وشهوته ومصالحه الدنيوية العاجلة الفانية الرخيصة، وينسى الله وما عنده من الأجر والثواب، وما أعده للمخلصين من خيري الدنيا والآخرة.

يقول الله تعالى: " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة " (البينة: ٥).

ويقول تعالى: " قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله " (آل عمران: ٢٩).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (رواه مسلم).

كل الذنوب فإن الله يغفرها إن شيع المرء إخلاص وإيمان

وكل كسر فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران

فأشدد يدك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان

ولقد كان الإمام أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة يقول: " والله ما جلستُ مجلساً أنوي فيه أن أرتفع إلا لم أقم حتى يفضحني الله " .

إن الذين يتصدون ويبادرون في مواجهة الناس لا بد لهم من مجاهدة دائمة ومستمرة لأنفسهم؛ حتى يتسنى لهم الحصول على الأجر والثواب من الله تعالى، وحتى لا يحبط الله أعمالهم ويكلهم إلى أنفسهم.

قوة الاحتمال :

إن كل عظيم وقائد فذ ينذر نفسه ليكون رمزاً اجتماعياً ذا علاقات واسعة متشعبة لا بد له أن يدرك أن هذا الطريق ليس مفروشاً بالورود دائماً، وإنما قد يضطر أن يمشي على الشوك أحياناً، وصدق من قال:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولما انقضت مرحلة الدعوة السرية بنزول الآية " وأنذر عشيرتك الأقربين " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: يا بني فلان، يا بني عبد مناف، " رأيتم لو أخبرتم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك أما جمعنا إلا لهذا !! ثم قام، فنزلت هذه السورة: " تبت يدا أبي لهب " (متفق عليه).

واتخذ الأذى صوراً شتى من السب العلني والضرر المادي، وقد وردت رواية من طرق تعترض ببعضها لإثبات الحدث تاريخياً، تقول إنه لما نزلت " تبت يدا أبي لهب " أقبلت أم جميل بنت حرب - امرأة أبي لهب - وهي تنشد: مُدَمَّمٌ أبينا، ودينه قَلِينا، وأمره عصينا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فسألتُ أبا بكر إن كان النبي قد هجاها، فنفي ذلك (رواه الحاكم وأبو يعلى والبيهقي والحميدي).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد " (البخاري، فتح الباري: ٦ / ٥٥٤).

وكان المشركون إذا سمعوا القرآن يجهر به الرسول وهو يصلي بأصحابه مستخفياً يسبون القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فأمره الله تعالى أن يتوسط بالقراءة بحيث يسمعه أتباعه دون المشركين قال تعالى: " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً " (الإسراء: ١١٠، وانظر صحيح البخاري: ١٠ / ١٩).

إن حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على الصلاة في المسجد الحرام أدى إلى الاحتكاك بالمشركين مراراً، ولعله حرص على إظهار شعائر الإسلام، واحترام الكعبة، ولقاء الناس لأغراض الدعوة، ومن هنا حاول المشركون تفويت هذه الأغراض عليه بمضايقته وإيذائه دون التورع عن ذلك حتى وهو يسجد لله في صلاته!!

وقد سأل عروة بن الزبير عبد الله بن عمرو بن العاص: " أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم" (البخاري، فتح الباري: ٨ / ٥٥٤) .

صبرتُ على الأيام حتى تولى وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن أطمعت تاقى وإلا تسلت

د. علي الحمادي

رئيس مركز التفكير الإبداعي

المشرف العام على الموقع الإلكتروني إسلام تايمز

One_mc2003@yahoo.com

